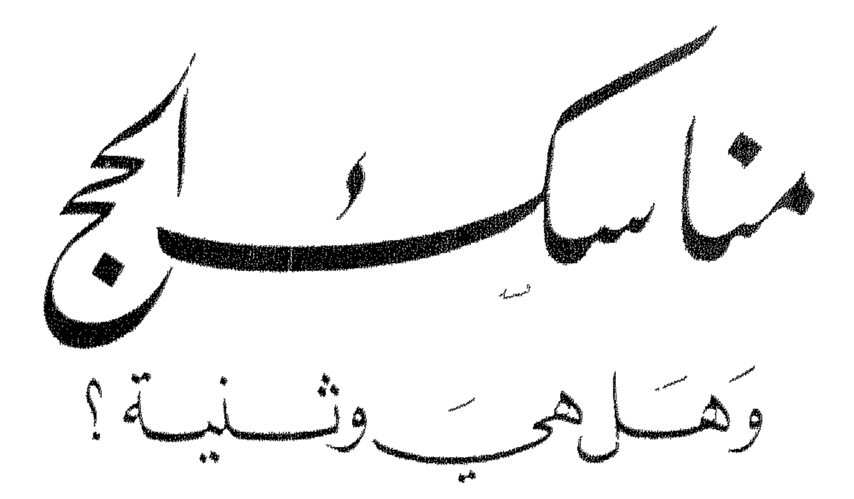
حسن شحادة



Bibliotheca Alexandrina
0014097

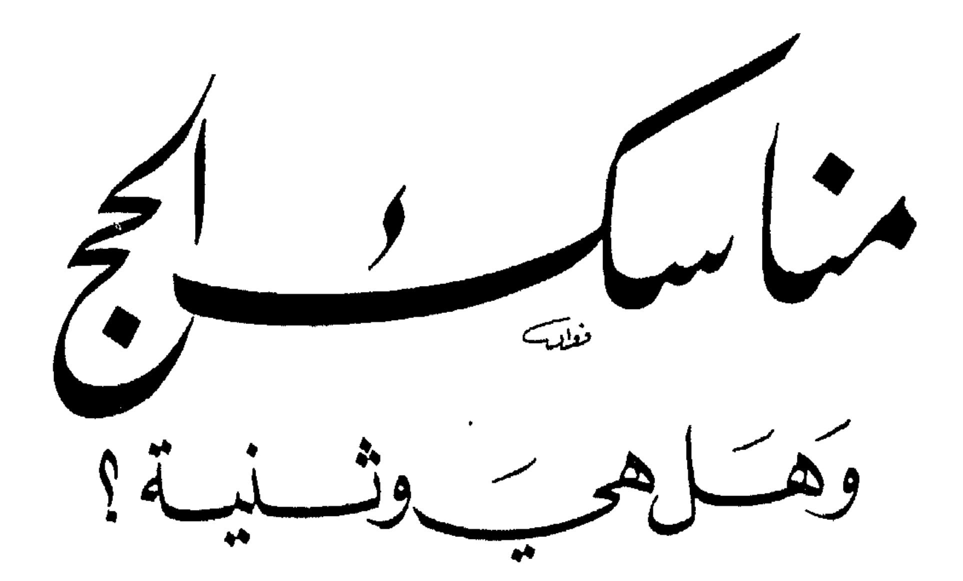
الدار الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الاولى
١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م

حسن شحادة



الدار الاسلامية

مناسك الحج

وهل هي وثنية ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى حجاج بيت الله الحرام . إلى كل مسلم ومسلمة وجب عليه الحج ، إلى الناس كافة من آمن منهم ومن لم يؤمن اقدم كتابي هذا آملاً الخير كل الخير في أن يجد المؤمن فيه شفاء صدره وأن يعود غيره إلى رشده وهداه والله وليٌّ التوفيق .

طيردِبّا في ٢٩ / ١٠ / ١٣٩٩ الموافق ٢١ / ٩ / ١٩٧٩

المؤلف : حسن شحادة

المقدمة

من الشبهات المطروحة أن مراسيم الحج أشبه بالوثنية وعبادة الأصنام ، فالطواف مثلاً حول الكعبة ذلك الحجر الكبير، والسعي بين الصفا والمروة التي هي عبارة عن مجموعة من الصخور ، ورجم الشيطان الذي هو عبارة عن عامود من الحجر، كل ذلك أليس وثنية ؟

وماذا غيرنا من مفاهيم ؟ وماذا بدَّلنا من عادات وتقاليد ؟ فقد كان هناك أصنام من حجارة وأخرى من خشب وهانحن نستبدلها بأحجار غيرها فما هو تعليلنا لذلك ؟ وما هو فهمنا لهذه المراسيم ؟ وما هو موقف المسلمين من هذه العبادة ؟ وهل يتقبلونها وهم يتوجهون إلى الله أم أنهم يعبدون الأحجار لتقربهم إلى الله كما كان يفعل المشركون أيام الجاهلية حيث كانوا يقولون : « ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » .

هذا ما سنبحثه في كتابنا المتواضع بالإضافة إلى ما سنتعرض له من بناء إبراهيم (ع) للكعبة وما كان بينه وبين إسماعيل وكيف تعرض ابرهة الحبشي للكعبة بسوء وتمزيقه كل ممزق

كما سنتعرض لشرح بعض الآيات التي تتعلق بالحج ونذكر بعض فتاوى حجة الإسلام آية الله السيد ابو القاسم الموسوي الخوئي أدام الله ظله .

وسنبين إن شاء الله ما وعيناه من رموز وأهداف سامية من خلال هذه الفريضة المباركة ونتعرض لكل عمل من أعمال الحج راجين المولى عزت قدرته أن يوفقنا لما فيه مرضاته .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المؤلف : **حسن شحادة**

القسم الأول

القسم الأول

البيت الأول .

تغيير القبلة .

البلد الآمن .

قصة الفيل .

الأذان للحج .

شبهات : يثير الكثير من المشككين بالإسلام شبهات حول مراسيم الحج ومناسكه معتبرين أنها من بقايا الوثنية ومخلَّفات الجاهلية ، وهذه الشكوك انما تنبع من جهلهم بمناسك الحج وما ترمز إليه هذه العبادة القيِّمة من معانٍ واهداف سامية لاتمت إلى الوثنية بصلة ، ولا إلى الجاهلية بسببٍ .

ولو سألنا هؤلاء المشككين عن أحد المعاني التي تهدف إليها تلك العبادة لكان الجواب سلباً أو لما كان جواب .

وكل ما يمكن أن يقوله هؤلاء المشككون إنكم تطوفون حول حجر وتسعون من احجار إلى احجار وترجمون الحجارة بحجارة مثلها وهل كانت الوثنية غير ذلك ؟

هذا جلُّ ما عندهم وهذا هو فهمهم لمناسك الحج ، والإنسان عدو ما يجهل وصديق ما يعلم ويفهم ، فلو نقَّبوا عن الحقيقة وفتشوا عن الهدف وبحثوا عن المعاني الحقيقية لوجدوا أنفسهم غارقين في غياهب الظلمات ودياجير الليالي الحالكات ، ولأدركوا سموَّ المعاني والقيم والأهداف التي تنبثق وتولد من مناسك الحج لتوجه الفكر البشري إلى امور وحقائق قد ذهل عنها عقله فيرتد إليها ويدركها عبر صور فوتوغرافية طبيعية

وواقعية فيدرك كل القيم النظرية بأسلوب عملي تطبيقي وواقعي مصور وبالألوان .

البيت الأول : قال تعالى في كتابه الكريم : ﴿ **إن أول بيت وضع للناس للذي ببكّة مباركاً وهدىً للعالمين** ﴾ [1] .

هذه الآية المباركة تدل دلالة واضحة على أن أول بيت وضع لعبادة الله على سطح الأرض هو المسجد الحرام الذي بناه إبراهيم واسماعيل (ع) في مكة المكرمة وبكة هو اسم من اسماء مكة .

وقد قيل في معنى بكة : « ومعنى البك الدفع ، والناس في مكة لكثرتهم يدفع بعضهم بعضاً ، ونقل الرازي في تفسيره أن الإمام محمد الباقر (ع) كان يصلي في الكعبة فمرت امرأة بين يديه فأراد رجل أن يدفعها فقال له الإمام : دعها فإنَّ مكّة سمِّيت بكّة لأن الناس يبك بعضهم بعضاً تمر المرأة بين يدي الرجل وهو يصلي ، والرجل بين يدي المرأة وهي تصلي ولا بأس بذلك في هذا المكان » [2] .

وشاء ربك أن يهاجر إبراهيم وبعض ذريته إلى مكّة المكرمة حيث لا ماء ولا كلأ وأن يسكن فيها إسماعيل وأمه هاجر وأن يبدأ بناء الكعبة على يدي أبي الأنبياء إبراهيم (ع)

---

(١) آل عمران ، آية ٩٦ .

(٢) التفسير الكاشف للشيخ محمد جواد مغنية الجزء الثاني ـ صفحة ١١٥ ـ ١١٦

وولده إسماعيل (ع) .

بناء البيت : قال تعالى : ﴿ **وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم** ﴾ (١)

وتشير هذه الآية إلى أن إبراهيم وإسماعيل رفعا قواعد البيت وهذا يؤكد أن الكعبة كانت في زمن إبراهيم إذ أنه هو الذي بناها ، أمّا هل كانت الكعبة قبل ذلك الحين وحلَّ بها الخراب ثم جدد بناءها إبراهيم وإسماعيل (ع) أو أنها لم تكن من قبل ، فهذا ما ليس عليه دليل .

وفي كلام بهذا الخصوص يقول الشيخ محمد جواد مغنية : « ولم اطلّع على اقوال الباحثين في الآثار والحفريات ، والقرآن لم يحدد صراحة تاريخ البناء وكل ما جاء فيه أن إبراهيم وولده إسماعيل قد باشرا بناء البيت وتعاونا معاً على إقامته ، وهذا أعم من عدم وجوده اطلاقاً من قبل ، أو كان موجوداً ، ولكن عرض له الخراب والدمار ثم جدّده إبراهيم وولده إسماعيل ، والسنّة القطعية منتفية ، والأخبار الواردة في هذا الباب ، كلها آحاد والخبر الواحد حجة في الأحكام الشرعية فقط ، أو فيها وفي موضوعاتها على قول ، أما في العقائد والمسائل التاريخية والموضوعات الخارجية البحتة فليس بحجّة إلا مع قرينة توجب ركون النفس واطمئنانها وعندها يكون الخبر

(١) البقرة ، آية ١٢٧ .

بحكم السنَّة القطعية .

ومهما يكن فنحن غير مسؤولين أمام الله سبحانه ولا مكلفين بمعرفة تاريخ بناء الكعبة وزمن انشائها وولادتها وأنها؛ هل هي جزء من الجنَّة أو قطعة من الأرض ؟ وأن آدم والأنبياء من بعده قد حجُّوا إليها أولاً ؟ وأنها عند الطوفان : هل أرتفعت إلى السماء ثم نزلت بعده إلى الأرض ؟ وأن الحجر الأسود هل جاء به جبريل من السماء أو صحبه آدم معه من الجنَّة أو تمخّض عنه جبل أبي قبيس ؟ وأنه : هل اسودَّ من ملامسة المذنبين إلى غيرذلك مما لا سند له إلا خبر واحد أو قصاص مخرف » [1] .

لذا فسنعرض للكعبة ومناسك الحج منذ زمن إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

وبعد أن أتم إبراهيم وإسماعيل بناء الكعبة رفعا ايديهما إلى السماء متوجهين إلى الله يدعوانه أن يتقبل منهما هذا العمل، وأن يثيبهما عليه وقد قبل الله دعوتهما واستجاب لهما .

ثم طلبا من الله عز وجل أن يجعلهما مخلصين مسلمين له جميع امورهما كما سألا ربهما أن يجعل من ذريتهما أمَّة مسلمة مؤمنة منقادة له ومنفذة أوامره ومنتهية عن نواهيه .

---

(١) التفسير الكاشف ، المجلد الأول صفحة ٢٠٣ .

« ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمَّة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم » [1] .

وبعد هذا طلبا من الله أن يعلمهما مناسك الحج فكان لهما ما أرادا .

تغيير القبلة : ولقد هيأ الله سبحانه وتعالى هذا البيت لإبراهيم (ع) ليقيم شعائر الله ويطهره من كل رجس وعبادة للأصنام لتكون العبادة لله وحده لا شريك له . قال تعالى:

﴿ وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئاً وطهِّر بيتي للطائفين والقائمين والركَّع السجود ﴾ [2] .

والطائفون هم الذين يطوفون حول الكعبة ويتوجهون بقلوبهم ومشاعرهم إلى الله ، والقائمون هم المقيمون في مكَّة وضواحيها من الذين وحَّدوا الله وآمنوا به .

وقد أمر الله نبيه إبراهيم أن يبعد المشركين وغيرهم ممَّن لم يؤمنوا بالله واليوم الآخر ـ أن يبعدهم ـ عن المسجد الحرام .

وقد كانت الكعبة كما سبق وقلت . أول بيت وضع للناس من أجل العبادة والطاعة وهداية الناس إلى الحق ومعرفة الله الواحد القهَّار .

---

(١) البقرة ، الآية ١٢٨ .

(٢) الحج ، آية ٢٦ .

أما بالنسبة لاتجاه المسلمين إليها فقد كانوا سابقاً يتجهون في صلاتهم إلى بيت المقدس ، ولما أمر الله نبيَّه محمداً (ص) أن يتجه إلى الكعبة قال السفهاء وهم اليهود مستهزئين : « ما ولأهم عن قبلتهم » وبهذا الخصوص قال تعالى في كتابه ﴿ **قد نرى تقلّب وجهك في السماء فلنولينّك قبلة ترضاها فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولُّوا وجوهكم شطره وإن الذين اوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عمّا يعملون** ﴾ [1] .

« روي عن الإمام جعفر الصادق (ع) أنه قال : تحولت القبلة إلى الكعبة بعد ما صلَّى النبي (ص) بمكّة ثلاث عشرة سنة إلى بيت المقدس وبعد مهاجرته إلى المدينة صلَّى إلى بيت المقدس سبعة أشهر ثم وجهه الله إلى الكعبة وذلك أن اليهود كانوا يعيِّرون رسول الله (ص) ويقولون له : أنت تابع لنا ، تصلي إلى قبلتنا ، فاغتم رسول الله (ص) من ذلك غماً شديداً وخرج في جوف الليل ينظر إلى آفاق السماء ، ينتظر من الله تعالى أمراً في ذلك ، فلمّا أصبح وحضر وقت الظهر كان في مسجد بني سالم وصلَّى فيه من الظهر ركعتين فنزل عليه جبريل (ع) فأخذ بعضديه وحوَّله إلى الكعبة وأنزل عليه : ﴿ **قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينّك قبلة ترضاها فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام** ﴾ فصلَّى ركعتين إلى بيت المقدس

البقرة ، آية ١٤٤ .

وركعتين إلى الكعبة [1] .

وهكذا أمر الله سبحانه أن تتغير وجهة الصلاة فكان له ما أراد أما اليهود فقد هزئوا وسخروا من دلك . قال تعالى : ﴿ **سيقول السفهاء من الناس ما ولاَّهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم** ﴾ [2] .

ورداً على استهزاء اليهود وسخريتهم أمر الله نبيه أن يجيب هؤلاء السفهاء بأن « لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم » .

لذلك فإلى أية جهة أراد منا الله أن نتجه إليها ونصلي فلا راد لأمره طالما أن الهدف هو طاعة الله سبحانه وتعالى .

البلد الآمن : وقد جعل الله سبحانه وتعالى بيته الحرام آمناً فقال عز من قائل :﴿ **فيه آيات بيّنات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً** ﴾ [3] . وقال أيضاً :﴿ **وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً واتخذوا من مقام إبراهيم مصلًّى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والرّكّع السجود** ﴾ [4] .

---

(١) التفسير الكاشف ـ الجزء الأول ـ صفحة ٢٢٩ .
(٢) البقرة آية ١٤٢ .
(٣) آل عمران ، آية ٩٧ .
(٤) البقرة ، آية ١٢٥ .

وقد دل وجود مقام إبراهيم في المسجد الحرام على قدم الكعبة وأسبقيته على بيت المقدس إذ ارتبط اسم إبراهيم ببناء الكعبة وارتبط اسم سليمان ببناء بيت المقدس وإبـراهيم (ع) اسبق من سليمان وأقدم .

وقد جعل الله سبحانه بيته الحرام آمناً في الدنيا ، فالداخل إليه يأمن على نفسه ولا يجوز ايذاؤه ولا التعرض إليه بأي سوء ولا الإقتصاص منه حتى يخرج كما أنه لا يقام عليه الحد إذا التجأ إلى الحرم الشريف حتى يخرج منه وقد كان الرجل إذا رأى قاتل أبيه في الحرم تجاهله .

وقد جعل الله سبحانه البيت مقصداً للناس يؤمونه من كل مكان لأداء مناسكهم وعبادة الله تعالى واستغفار ربهم من ذنوبهم وخطاياهم كما أمر الله سبحانه وتعالى إبراهيم وإسماعيل أن يطهرا البيت من كل رجس ووثن وصنم وأن لا يشركا بعبادة الله احداً وأن يجعلا البيت خالصاً لعبادة الله وحده وأن يحثا الناس ويدعواهم إلى عبادة الله الواحد الأحد .

ثم دعا إبراهيم ربه أن يجعل مكَّة المكرمة بلداً آمناً من كل شر وقد قيل : إن الله جلَّ وعلا استجاب دعوته وأهلك من أرادها بسوء .

قصة الفيل : من المعروف أن مكَّة كانت مقصداً للناس من جميع الإتجاهات وكانت بلداً تجارياً مهماً كما كانت منتدى للأدباء والشعراء يجتمعون فيها ويتبارون فيما بينهم

فتولد القصائد الطوال والمعلّقات الشهيرة كما كان يقصدها الحجاج من كل مكان ، وكان في اليمن ملك يدعى ابرهة الحبشي غاظه أن يرى كل هذه المغانم والأرباح والعظمة تذهب إلى مكّة فأمر ببناء بيعة له في صنعاء ـ وهي اشبه ببيت للعبادة ـ ويقصد مجاراة الحرم الشريف في الرفعة والسمو ليلفت أنظار العرب إليه وليوجه حجهم إلى بيته المزعوم ثم أمر الناس أن يحجوا إليه ، فما كان من الناس إلا أن قابلوا دعوته بالنكران والإستهزاء مما ساءه كثيراً ، وفي ذات يوم وجد في بيعته اقذاراً فعلم أنها من فعل عربي فقرر الإنتقام منهم بهدم كعبتهم وتشريدهم وتمزيقهم فجهز الجيوش وجعل الفيلة على مقدمة الجيش وأخذ معه من العرب من يدله على الطريق حتى أصبح قريباً من مكّة فأمر الجيش فعسكروا هناك ريثما يستريحون من عناء السفر ثم ينقضّون بعدها على مكة المكرمة ويهدمون الكعبة وينتقم ابرهة لنفسه ولبيعته .

وفي هذه الأثناء وقعت بعض الإبل في أيدي نفر من جنود أبرهة وكانت إبل عبد المطلب سيد قريش وجدّ الرسول الأعظم ، وحين علم عبد المطلب بالأمر ذهب ليطالب بها فأدخل على ابرهة ولما رآه ابرهة ـ وكان عبد المطلب وسيماً ذا هيبة ووقار وصلابة وقوة عظيمة ـ فأكرمه ابرهة ونزل عن كرسي ملكه وجلس معه فقال له ابرهة ؛ مر حاجتك قال عبد المطلب : جئت بطلب إبلي فقد وقع بعضها في أيدي جنودك فقال له

حين رأيتك اكبرتك ولما تكلمت سقطت من نفسي .

فقال عبد المطلب ؛ ولم ؟ قال : اولم تعلم بأنني قادم لهدم الكعبة رمز عزكم وسؤددكم ؟ قال : بلى ، قال ابرهة: وتأتي لتطلب إبلك ولا تطلب مني الرجوع عن البيت ؟ أجاب عبد المطلب ، أنا رب هذه الإبل اطالب بها وأمنعها منك وللبيت رب يحميه ويمنعه منك .

وخرج أهل مكّة والتجأوا إلى الجبال من كيد ابرهة وجيشه وأخذ عبد المطلب يتفقد البيت ويدعو الله أن يحميه من الكفرة الفجرة وأن يرد عنه كيدهم .

واستعد ابرهة وجيشه لهدم الكعبة وحرَّض الفيلة على الإقتحام لكنها لم تتحرك فكأنما جاءها امر الله أن لا تتحركي واربضي في مكانك فلبّت النداء ونفَّذت ما أمرها ربها وليس في ذلـــك غرابـة . فالله خالـق كل شيء يعلم كل شيء ، ألهم الفيلة ألاَّ تقتحم الكعبة وأن تثبت في مكانها فوعت الأمر ولبت النداء ، ولما وجهها الجند إلى جهة غير الكعبة قامت تحث السير مسرعة كأنما فاجأها ما القى الرعب فيها ، ثم ما أن يعودوا فيوجهونها نحو الكعبة حتى تربض مكانها جاثمة دون حراك وهذا ما أذهل ابرهة وجيشه فبدأوا يضربونها بشدة وعنف، ولكن دون جدوى ، فتحملت الأذى وصبرت عــلى الطعــن مفضِّلة تنفيذ أمر الله سبحانه وتعالى . فهل يعتبر الإنسان من فيل ابرهة ؟ وهل يعود إلى رشده ويلبي نداء خالقه ؟.

وبعد أن وجَّه الله إليهم هذا الإنذار بحدوث المعجزة ـ معجزة الفيلة ـ علَّهم يعتبرون ويعودون إلى صوابهم ، بعد كل هذا قرروا قصف الكعبة بالمنجنيق فأتاهم العذاب من حيث لا يحتسبون وانصّبت عليهم الحجارة من أفواه الطيور تقصفهم فما تصيب واحداً منهم إلا مزقته تمزيقاً فتشردوا في الأرض وتبعثروا وكانت نهايتهم .

وقد قال تعالى في كتابه الكريم مذكراً بالحادثة :

﴿ ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل * ألم يجعل كيدهم في تضليل * وأرسل عليهم طيراً أبابيل * ترميهم بحجارة من سجّيل * فجعلهم كعصف مأكول * ﴾ [(١)] .

وهكذا فقد جعل الله تعالى هذا البيت آمناً ، قال عز وجل:

﴿ وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر، قال ومن كفر فأمتعه قليلاً ثم اضطره إلى عذاب النار وبئس المصير ﴾ [(٢)] .

وبعد ذلك دعا إبراهيم (ع) أن يرزق اهل هذا البلد من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر ، ولكن الله سبحانه رحمن هذه الدنيا يرزق المؤمن والكافر، البر والفاجر، فأما المؤمن فينعم برحمة الله في الدنيا وفي الآخرة ومأواه جنة عرضها

---

(١) سورة الفيل .
(٢) البقرة ، آية ١٢٦ .

السماوات والأرض اعدت للمتقين وأما الكافر فيمتعه الله قليلاً ثم يضطره إلى عذاب النار وبئس المصير في يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من اتى الله بقلب سليم .

الأذان للحج : بعد فراغ إبراهيم وإسماعيل من بناء الكعبة المشرفة امر الله سبحانه وتعالى نبيه أن يؤذن في الناس بالحج ضامناً له تلبيتهم للدعوة فكانت مناسك الحج وكانت فريضة الحج إلا أن الناس على مر الأيام والسنين نسوا ما دعا الله إليه وأغواهم الشيطان واستبدلوا عبادة الله الواحد الأحد بعبادة الآلهة المتعددة وأشركوا بالله واستمرت على تلك الحالة إلى أن بعث الله نبيه محمداً (ص) .

قال تعالى : **وأذّن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معدودات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ﴾** [١] .

وقد ضمن الله سبحانه وتعالى تلبية النداء فجاءوا مشاة وركباناً من كل نَجْدٍ وغور يوحدون الله ويذكرون اسمه مهللين ومكبرين وملبين .

الأذان : وقد كان التأذين في عصر إبراهيم لمن حوله ولمن هم قريبون منه أما اليوم فقد أسمع من في الأرض جميعاً

---

(١) الحج ، آية ٢٨ .

وعمَّ الدنيا بأسرها واستجابت الأرض بمشرقها ومغربها ، شمالها وجنوبها ، وبكل اقطارها فانطلق الناس من كل حدب وصوب ليشاركوا اخوانهم في طاعة الله تعالى وتنفيذ امره .

وبعد أن انتهت مهمة ابراهيم (ع) أراد أن يغادر مكّة المكرمة فدعا ربه قائلاً :

« ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة ، فاجعل افئدةً من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » [1] .

لقد اسكن إبراهيم زوجته هاجر وأبنه إسماعيل في مكة المكرمة بجوار المسجد الحرام لإقامة الصلاة وأداء مناسك الحج وذكر اسم الله تعالى ولكن هناك حيث لا ماء ولا كلأ فدعا ربه قائلاً : « اللهم اجعل قلوباً طاهرة من المؤمنين تهوي إليهم وتقدم عليهم لأداء مناسك الحج وليجلبوا معهم من الثمرات والطيبات الكثير الكثير .

وكان لإبراهيم ما أراد وتدفقت جموع الناس إليهم وكثرت الخيرات وعمَّت البركات وقد ظلت مكة مركزاً عظيماً من مراكز التجارة يؤمها كل من حج واعتمر وهاهي باقية إلى يومنا هذا تهوي إليها قلوب المؤمنين من اقطار الدنيا وستبقى هكذا ما شاء الله لها أن تبقى .

---

(١) ابراهيم ، آية ٣٧ .

القسم الثاني

معنى الحج .
شروط الحج .
العزم على الحج .
مشقة الطريق .
السفر إلى الآخرة .
التخشن .
ذكريات الرحلة .
معنى الميقات .
مواقيت الإحرام .
نية الإحرام والتلبية .
محرمات الإحرام .

معنى الحج : الحج ـ لغةً ـ هو القصد ، وله عدة معان أخرى منها الغلبة نقول حج فلان فلاناً أي كانت حجته أقوى أو غلبه بالحجة وأما معنى الحج في الشريعة فهو القصد إلى اماكن معينة لأداء أفعال معينة في زمان معين ، أي هو القصد إلى بيت الله الحرام لأداء مناسك الحج وما فرض فيه من العبادات .

شروط الحج : يشترط في من يجب الحج عليه أمور :

١ ـ البلوغ : فلا يجب على غير البالغ وإن كان مراهقاً، ولو حجَّ الصبيّ لم يجزئه عن حجَّة الإسلام وإن كان حجه صحيحاً على الأظهر [١] .

٢ ـ العقل : فلا يجب على المجنون وإن كان ادوارياً، نعم إذا افاق المجنون في شهر الحج وكان مستطيعاً ومتمكناً من الإتيان بأعمال الحج وجب عليه ، وإن كان مجنوناً في بقية الأوقات [٢] .

---

(١) مناسك الحج للسيد ابو القاسم الموسوي الخوئي ـ الطبعة الثامنة ١٣٩٧ ـ مطبعة اوفسيت الميناء ـ بغداد ـ ت ١٢٥٧ ٨٨٨ صفحة ـ ٧ .

(٢) نفس المصدر السابق صفحة ـ ٩ .

٣ ـ الحرية : فلا يجب الحج على المملوك وإن كان مستطيعاً ومأذوناً من قبل المولى ، ولو حجَّ بإذن مولاه صح ، ولكن لا يجزيه عن حجة الإسلام فتجب الإعادة إذا كان واجداً للشرائط بعد العتق [١] .

٤ ـ الإستطاعة : ويعتبر فيها امور :

الأول : السعة في الوقت ؛ ومعنى ذلك وجود القدر الكافي من الوقت للذهاب إلى مكَّة والقيام بالأعمال الواجبة هناك [٢] .

الثاني : الأمن والسلامة ، وذلك بأن لا يكون خطر على النفس والمال أو العرض ذهاباً وإياباً وعند القيام بالأعمال كما أن الحج لا يجب مباشرة على مستطيع لا يتمكن من قطع المسافة لهرم أو مرض أو لعذر آخر ولكن تجب عليه الإستنابة [٣] .

الثالث : الزاد والراحلة : ومعنى الزاد هو ما يتقوَّت به في الطريق من المأكول والمشروب وسائر ما يحتاج إليه في سفره أو وجود مقدار من المال (النقود وغيرها) يصرفه في سبيل ذلك ذهاباً وإياباً ، ومعنى الراحلة هو وجود وسيلة يتمكن بها من قطع المسافة ذهاباً وإياباً ويلزم في الزاد والراحلة أن يكونا ممَّا يليق بحال المكلَّف [٤] .

---

(١) نفس المصدر صحة ٩ .

(٢) نفس المصدر صفحة ١٠ .

(٣) نفس المصدر صفحة ١١ .

(٤) نفس المصدر السابق صفحة ١٢ ـ ١٣ .

الرابع : الرجوع إلى الكفاية ، وهو التمكن بالفعل أو بالقوة من اعاشة نفسه وعائلته بعد الرجوع [1] .

فمن كان واجداً لهذه الشروط الأربعة : البلوغ والعقل والحرية والإستطاعة وجب عليه الحج .

قال تعالى : ﴿ **ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً** ﴾[2].

العزم على الحج : تبدأ فريضة الحج عند المسلم حين استطاعته الحج دون أن يقف في وجهه عائق مادي أو صحي أو خطر في الطريق أو غير ذلك مما تقدم ذكره ، وكان سبباً وعذراً شرعياً في عدم التمكن .

وحين تتهيأ المقومات والظروف الملائمة يعزم المؤمن وينوي النيَّة للحج إلى بيت الله الحرام .

مشقة الطريق : وتبدأ الرحلة ــ رحلة الإيمان ــ ويتهافت الناس من كل حدب وصوب في الجو والبر والبحر قاطعين آلاف الأميال ملبين نداء الله سبحانه وتعالى غير هيَّابين ممَّا سيعترضهم من مخاطر الطريق ومشقاتها تاركين الأهل والديار والنعيم والخيرات .

---

(١) نفس المصدر صفحة ١٤ ــ ١٥ .

(٢) آل عمران ، آية ٩٧ .

وتمشي المسيرة ، مسيرة الرحمن والكل راضٍ عن نفسه وعمًّا يقوم به والكل خاشعون متواضعون لله والكل صابرون على ما كتب الله لهم اثناء الطريق يأكلون مما قسمه الله لهم ويشربون ، تاركين ما لذَّ وطاب في بيوتهم ، ينامون في الصحراء معرضين أنفسهم وأجسادهم لحرارة الشمس المحرقة والبرد القارس ، وبين هذه الحرارة وذلك البرد تراهم في كل الظروف ركَّعاً سجَّداً يستغفرون الله ويطلبون رضاه ، يتعاونون على البر والتقوى ، قويهم عون للضعيف ، وضعيفهم قوي بينهم ، يتقاسمون المشقات والصعاب ، يخفف بعضهم عن بعض متاعبه ، يذكرون اسم الله بكرة وأصيلاً ، ومع كل هذه المشقات والصعوبات التي يلاقونهاتجدهم مقبلين عليها بقلوب توَّاقة لا يرَون فيها ضيراً بل رحمة ورضواناً من الله تعالى .

السفر إلى الآخرة : والحج يثير الشعور لدى الإنسان بلقاء الله وقرب الإنتقال إلى الآخرة ، فيعد العدة ويكتب وصيته لأهله وهل هذا إلا دليل على استشعاره الرحيل إلى الله فيودع أهله وكأنه لن يعود إليهم .

والحاج في سفره يعد عدة السفر وعدة الحج فيتزود بالطعام والشراب . ويحمل معه ثوبي الإحرام فيذكره الزاد بزاد الآخرة الذي لا بد للمؤمن ولا غنى له عنه وهو العمل الصالح وتقوى القلوب . ﴿ **وتزودوا فإن خير الزاد التقوى** ﴾ [1] .

---

(١) البقرة ، آية ١٩٧ .

ويذكرنا ثوبا الإحرام بالكفن الذي نلبسه حين نفارق الحياة ، لذا فالسفر على طريق الحج يذكر بالله ويعظ الإنسان ويستحضر امامنا فكرة الإياب إلى الله وفكرة الحساب بين يدي الله .

﴿ إن إلينا ايابهم ، ثم إن علينا حسابهم ﴾ [1] .

التخشن : روي عن رسول الله (ص) أنه قال : « اخشوشنوا فإن النعم لا تدوم » .

ورحلة الحج تعوُّد على الخشونة ونبذ لكل لين وراحة وهي صبر وكفاح وجهاد في سبيل الله ونضال عظيم .

في هذه الرحلة يبدأ الإنسان حياة جديدة تختلف عمَّا ألف من حياة وينطلق ثائراً متحرراً من الثبات والركود اللذين عاشهما فيشعر أن حياته أخذت تنبض بالحركة من جديد فتبعث فيه الحيوية والنشاط .

وعلى الرغم مما يلاقي المؤمنون في طريقهم إلى الحج من مصاعب ومخاطر تراهم في كل سنة يزدادون وترى الحاج تهفو نفسه إلى تلك الرحلة في كل عام فما الذي يحبب الإنسان بها وما الذي يجعله يضحي في سبيلها بالغالي والنفيس ؟

ويمكنني القول إن المؤمن لو علم أنه يموت في هذه الرحلة لشد الرحال إليها ولما توانى لحظة واحدة عن المضي إليها

---

(١) الغاشية . ٢٥ ـ ٢٦ .

ولأقبل عليها أشد الإقبال لماذا يا ترى ؟ ما هو السحر العظيم الذي وضع في هذه الفريضة ؟ إنها دعوة الله وأي دعوة أحب إلى المؤمن من دعوة خالقه ؟.

ذكريات الرحلة : وعلى طريق الحج تمر القافلة على أرض الذكريات التي تجسدت فيها البطولات والأمجاد وأضاءت بأنوار المؤمنين وامتلأت بالأحداث الجسام التي سطرت لنا أروع آيات الفداء .

وتعود أرض الذكريات بمخيلة الإنسان إلى التاريخ تستعرضه فهنا هبط آدم وحواء وهناك جاس إبراهيم وهنالك تل إبراهيم ابنه إسماعيل للجبين وفداه الله بذبح عظيم ، وهذه غار حراء حيث اعتكف الرسول الأعظم وحيث هبط الوحي عليه فقال :

﴿ إقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم الذي علَّم بالقلم * علَّم الإنسان ما لم يعلم ﴾ [1] .

وينتقل الحاج إلى أرض البطولات والمعارك فهنا كانت معركة بدر ودارت رحاها على المشركين تخطفهم واحداً بعد الآخر فيتمثل ابطال المسلمين امام عينيه فيرى اسد الله الغالب علياً (ع) وأسد الله ورسوله الحمزة ويرى المقداد وسلمان

---

(١) سورة العلق ، آية ١ ـ ٥ .

وعماراً وبلالاً وأبا ذر وغيرهم من الصحابة الأجلاء يثبون كالليوث على الأعداء فينكلون بهم ويعطونهم دروساً وعبراً في فن القتال والحرب .

ثم تنتقل القافلة من بقعة طاهرة إلى أخرى مشرفة فيشاهد أُحداً وخيبر ومكان الخندق فيسرح مع التاريخ ويعيش مع الأبطال فينفلت من حاضره ويغيب مع الماضي فيتكوَّن لديه شعور بالحضور معهم وخوض الغمرات إلى جانبهم ، والتأسي بأعمالهم ، فتولد عنده إرادة جبارة ويتعمق الإيمان ويزيد حبه لدينه ويتمنى العودة في كل عام .وتمضي قافلة الحج إلى احد المواقيت للإحرام منه .

معنى الميقات : « المواقيت جمع ميقات وهو الوقت المضروب للموعد ومنه قوله تعالى :﴿ **إن يوم الفصل ميقاتهم اجمعين** ﴾ .

يعني اليوم الذي يفصل فيه بين الحق والباطل وهو يوم القيامة .

وقد يستعمل الميقات للمكان الذي جعل له وقت معين، ومنه قوله تعالى :

﴿ **ولما جاء موسى لميقاتنا** ﴾ . أي الميقات الذي وقتناه له وأمرناه بالمصير إليه [1] .

---

(١) كتاب فقه الإمام جعفر الصادق ـ الشيخ محمد جواد مغنية ـ صفحة ١٦٨ ـ الجزء الثاني الطبعة الأولى ١٩٦٥ دار العلم للملايين .

وجاء في معنى الميقات أيضاً ما يلي :

« المواقيت جمع ميقات كمواعيد وميعاد وهي مواقيت زمانية ومواقيت مكانية »[1] .

ويشرح السيد سابق المواقيت الزمانية فيقول : « هي الأوقات التي لا يصح شيء من أعمال الحج إلا فيها وقد بيَّنها الله تعالى في قوله :

﴿ **يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج** ﴾ وقال :﴿ **الحج اشهر معلومات** ﴾[2] .

ثم يقول تحت عنوان المواقيت المكانية : « المواقيت المكانية هي الأماكن التي يُحْرِم منها من يريد الحج أو العمرة »[3] .

مواقيت الإحرام : وهي عشرة .

١ ـ مسجد الشجرة : ويقع قريباً من المدينة المنوَّرة وهو ميقات اهل المدينة وكل من أراد الحج عن طريق المدينة .

٢ ـ وادي العقيق وهو ميقات اهل العراق ونجد وكل من مرَّ عليه من غيرهم ....

---

(١) كتاب فقه السنة للسيد سابق ـ المجلد الأول ـ دار الكتاب العربي صفحة ٦٥٠ .

(٢) نفس المصدر صفحة ٦٥١ .

(٣) نفس المصدر صفحة ٦٥٢ .

٣ ـ الجحفة وهي ميقات اهل الشام ومصر والمغرب ...

٤ ـ يلملم وهو ميقات اهل اليمن وكل من يمر من ذلك الطريق ويلملم اسم لجبل .

٥ ـ قرن المنازل وهو ميقات اهل الطائف وكل من يمر من ذلك الطريق .

٦ ـ مكة وهي ميقات حج التمتع .

٧ ـ المنزل الذي يسكنه المكلف وهو ميقات من كان منزله دون الميقات إلى مكة فإنه يوز له الإحرام من منزله ولا يلزم عليه الرجوع إلى المواقيت .

٨ ـ الجعرانة وهي ميقات اهل مكّة لحج القرآن والإفراد .

٩ ـ محاذاة مسجد الشجرة ، فإن من أقام بالمدينة شهراً أو نحوه ثم بدا له أن يخرج في غير طريق المدينة فإذا سار ستة أميال كان محاذياً للمسجد ، ويحرم من محل المحاذاة .

١٠ ـ ادنى الحل ، وهو ميقات العمرة المفردة بعد حج القران أو الإفراد ...

تعريف الإحرام : اختلف الفقهاء في تعريف الإحرام فقال قائل :

(*) نقلت هذه المعلومات عن المواقيت من كتاب منا سك الحج لآية الله السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي من صفحة ٦٥ ـ ٦٧ .

إنه مجرد النيَّة فقط ، وقال آخر: هو النيَّة والتلبية . وذهب ثالث إلى أنّه النيّة والتلبية ولبس ثوبيّ الإحرام ، والذي لا شك فيه أنه يتحقق بوجود هذه الثلاث وأنه ينتفي بانتفاء النيَّة لأن الأعمال بالنيات كما جاء في الحديث ..... » [1] .

الإحرام : وتمضي المسيرة حتى تصل إلى أحد المواقيت فيستعد المؤمنون للإحرام فيتجردون من ملابسهم ويغتسلون غسل الإحرام استحباباً وتنظيفاً لأجسامهم ويرتدون ثوبي الإحرام وهما ثوبان اشبه بالكفن عند الممات فينوي كل منهم نيّة الإحرام ويلبي كل منهم ما أمره الله .

نية الإحرام والتلبية : حين يرتدي الحاج ثوبي الإحرام يدخل إلى الميقات فينوي النيَّة ثم يلبي بعدها مباشرة وبلا فصل فيقول :

أحرم لعمرة التمتع حج التمتع حجة الإسلام قربة إلى الله تعالى : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك .

محرمات الإحرام : وبهذا يتحقق الإحرام ويحرم عليه كثير مما احل الله له في غير الإحرام وهي خمسة وعشرون :

١ ـ الصيد البري .

---

(١) كتاب فقه الإمام جعفر الصادق ـ الشيخ محمد جواد مغنية صفحة ١٧٣ ـ الجزء الثاني .

٢ ـ مجامعة النساء .

٣ ـ تقبيل النساء .

٤ ـ لمس المرأة .

٥ ـ النظر إلى المرأة .

٦ ـ الإستمناء .

٧ ـ عقد النكاح .

٨ ـ استعمال الطيب .

٩ ـ لبس المخيط للرجال .

١٠ ـ التكحـــل .

١١ ـ النظر في المرآة .

١٢ ـ لبس الخفّ والجورب للرجال .

١٣ ـ الكـــذب .

١٤ ـ المجادلـــة .

١٥ ـ قتل القمّل ونحوه من الحشرات التي تكون جسد الإنسان .

١٦ ـ التزيين .

١٧ ـ الإدِّهـــان .

١٨ ـ إزالة الشعر من البدن .

١٩ ـ ستر الرأس للرجال .

٢٠ ـ ستر الوجه للنساء .

٢١ ـ التظليل للرجال .

٢٢ ـ إخراج الدم من البدن

٢٣ ـ التقليـــم .
٢٤ ـ قلـع السن .
٢٥ ـ حمـل الســلاح .

وفي هذه الأمور مسائل يعود إليها الراغب في الإستزادة إلى كتاب مناسك الحج للسيد ابو القاسم الخوئي .

القسم الثالث

القسم الثالث

الإحرام وما يرمز إليه : والإحرام هو التجرد من الملابس ويرمز إلى تجرد الإنسان من زينة الحياة الدنيا وبهرجها الزائف وطلاقه لكل متاعها ، ولبس ثوبي الإحرام وهو عبارة عن منشفتين غير مخيطتين تشبهان إلى حد بعيد ثوبي الكفن اللذين يلبسهما الإنسان حال الوفاة .

والإحرام هو أول اعمال الحج وعليه يكون الهدف الأول من فريضة الحج هو هجر متاع الدنيا وحطامها وإشعار الناس ـ جميع الناس ـ بوحدة الأصل والمنشأ ووحدة الكمال ، والمساواة فيما بينهم فلا الفقير يشعر بالفقر هناك ولا الغني كذلك والكل سواسية كأسنان المشط ، أناس قاموا لله يرجون لقاءه ، كلهم في ثياب بيضاء واحدة لا فرق بينهم وهذه ارادة الله أن يتساوى الناس أمامه وليس احب إلى الله من رؤية عباده متساوين لا يميز أحدهم عن الآخر إلا بالتقوى والعمل الصالح .

وهذه الفكرة هي أول ما يجب أن يتنبه إليها الحاج ويتواضع لله ويعلم أن الله وحده هو الغني وأن الناس جميعاً فقراء إليه فلا يظلم الغني الفقير ولا يذل الفقير للغني فالكل محتاجون للغني الحميد .

والإحرام ـ كما رأينا ـ هو تحريم لأكثر طيبات الحياة وحلالها ولجم وتقييد للإنسان لاختباره وامتحان قدرته وصبره على الطاعة وتعويده على الصمود امام الصعوبات والمشاق وهو أسر له حتى إذا ما انهى ما أمره الله به منح الحرية وتمتع بما احل له فكان كالعبد الأسير الذي لا يملك نفسه ثم اصبح حراً .

وهذا الشعور بالحرية بعد القيد وبالفكاك بعد الأسر ينبه الإنسان إلى قيمة الحرية وولادته حراً وإلى أن الحرية نعمة من نعم الله التي لا تعد ولا تحصى .﴿ **وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها** ﴾ [1] .

التلبية : ولا ينعقد الإحرام إلا بالتلبية بعد النية مباشرة، والتلبية هي ائتمار بأوامر الله وطاعة له واستجابة لدعوته وندائه وهي عهد وميثاق بين الإنسان وربه ومبايعة له ووعد بالاَّ نشرك به احداً ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره المشركون، مقرين بأنه وحده أهل الحمد والمغفرة والرحمة وأن النعمة ـ كل النعمة ـ من عنده فلا منعم سواه ، ولا كريم غيره، ولا جواد إلا هو .

لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك .

وهي أيضاً اعتراف منا وإقرار بالربوبية لله خالق الموت

---

(١) سورة إبراهيم ، آية ٣٤ .

والحياة وأنه تعالى هو الملك الحق الذي تخضع له الملوك وتخشع امامه قلوب الجبابرة يوم القيامة ، وتذل له العظماء ويصغر عنده المتكبرون .

﴿ تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير ﴾ [1] .

الدخول إلى مكة والبيت الحرام : قال ابان : كنت مع الإمام الصادق (ع) ، فلما انتهى إلى الحرم نزل واغتسل وأخذ نعليه بيديه ، ثم دخل الحرم حافياً ، وقال الإمام (ع): إذا دخلت الحرم فخذ من الأُذخر فامضغه ـ الأذخر نبات يطيِّب الفم ـ وقال : من دخل مكَّة بسكينة غفر له ذنبه فقيل له : وما السكينة ؟ قال : يدخلها غير متكبر ولا متجبر . وقال : الدخول من باب بني شيبة سنَّة » [2] .

كما يستحب لمن دخل مكة أن يغتسل وأن يدخل المسجد من باب بني شيبة ـ أي باب السلام ـ وأن يرفع يديه ويكبر ويهلل ويدعو بالمأثور وأن يقول في خشوع : « اعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم ، وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم ، بسم الله ، اللهم صل على محمد وآله وسلَّم ، اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك .

---

(١) سورة الملك ، آية ١ .

(٢) فقه الإمام جعفر الصادق ـ الشيخ محمد جواد مغنية ـ الجزء الثاني ـ صفحة ١٩٧ .

وإذا وقع نظره على البيت رفع يديه وقال : اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابة وزد من شرَّفه وكرَّمه ممَّن حجَّه أو اعتمره ، تشريفاً وتكريماً وتعظيماً وبراً .

اللهم أنت السلام ومنك السلام فحيِّنا ربنا بالسلام [١] .

شروط الطواف : الطواف هو الواجب الثاني من واجبات عمرة التمتع ــ ومعناه الدوران حول الكعبة ــ يستعد له الحاج حين وصوله إلى مكَّة المكرَّمة والإستقرار فيها فيتوجه إلى الحرم الشريف بنفس سعيدة مطمئنة فما أن تقع عيناه على الكعبة حتى يخفق القلب ويطير نحوها يطوف حولها قبل الجسد فسبحان الله في عظمته وفي السر الذي اودعه فيها .وللطواف شروط هي :

الأول : النيَّة فيبطل الطواف إذا لم يقترن بقصد القربة [٢] .

الثاني : الطهارة من الحدثين الأكبر والأصغر، فلو طاف المحدث عمداً أو جهلاً أو نسياناً لم يصح طوافه [٣] .

الثالث : من الأمور المعتبرة في الطواف : الطهارة من الخبث ، فلا يصح الطواف مع نجاسة البدن أو اللباس ،والنجاسة المعفو عنها في الصلاة ــ كالدم الأقل من الدرهم ــ لا تكون معفواً عنها في الطواف على الأحوط [٤] .

الرابع : الختان للرجال [٥] .

---

(١) فقه السنَّة للسيد سابق المجلد الأول ــ صفحة ٦٩٢

(ــ ٢ ــ ٣ ــ ٤ ــ ٥) مناسك الحج ــ السيد ابوالقاسم الخوئي من الصفحة ١١٢ ــ ١٢٠ .

الخامس : ستر العورة حال الطواف على الأحوط ، ويعتبر في الساتر الإباحة والأحوط اعتبار جميع شرائـط لباس المصلي فيه [١] .

واجبات الطواف : تعتبر في الطواف امور :

الأول : الإبتداء من الحجر الأسود ..... [٢]

الثاني : الإنتهاء من كل شوط بالحجر الأسود ، ويحتاط في الشوط الأخير بتجاوزه عن الحجر بقليل على أن تكون الزيادة من باب المقدمة العلمية [٣] .

الثالث : جعل الكعبة على يساره في جميع احوال الطواف [٤] .

الرابع : إدخال حجر إسماعيل في المطاف بمعنى أن يطوف حول الحجر من دون أن يدخل فيه [٥] .

الخامس : خروج الطائف عن الكعبة وعن الصفة التي في اطرافها المسمّاة بشاذروان [٦] .

السادس : أن يطوف بالبيت سبع مرات متواليات عرفاً ولا يجزي الأقل مـن السبع ويبطل الطواف بالزيـادة على السبع عمداً [٧] ...

---

(١) مناسك الحج ـ السيد أبو القاسم الخوئي ـ صفحة ١٢٠

(٢) نفس المصدر صفحة ١٢٠ .

(ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥ ـ ٦ ـ ٧) مناسك الحج السيد ابو القاسم الخوئي صفحة ١٢٠ ـ ١٢١

مستحبات الطواف : « قال الإمام الصادق (ع) : إذا دنوت من الحجر الأسود فارفع يديك ، واحمد الله ، ثم استلم الحجر وقبِّله ، فإن لم تستطع فاستلمه بيدك فإن لم تستطع فأشر إليه بيدك » [1] .

كما يستحب الإكثار من الذكر والدعاء .

مكروهات الطواف : « وقال الفقهاء : يكره الكلام بغير ذكر الله » والضحك والتمطي والتثاؤب ، وفرقعة الأصابع ومدافعة الأخبثين ، البول والغائط كما يكره الأكل والشرب وكل ما يكره في الصلاة » [2] .

آداب الطواف : « روى معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال تقول في الطواف :

« اللهم إني اسألك باسمك الذي يُمشى به على طلل الماء كما يمشى به على جدد الأرض ، أسألك باسمك الذي يهتز له عرشك وأسألك باسمك الذي تهتز له اقدام ملائكتك ، وأسألك باسمك الذي دعاك به موسى من جانب الطور الأيمن فاستجبت له ، وألقيت عليه محبَّة منك ، وأسألك باسمك الذي غفرت به لمحمد ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأتممت نعمتك عليه أن تفعل بي كذا وكذا » ما أحببت من الدعاء [3] .

---

(١) فقه الإمام جعفر الصادق ـ الشيخ محمد جواد مغنية ـ الجزء الثاني ـ صفحة ٢٠٣ .
(٢) فقه الإمام جعفر الصادق ـ الجزء الثاني ـ صفحة ٢٠٤ .
(٣) مناسك الحج للسيد ابو القاسم الخوئي صفحة ١٩٢ .

ويستحب في الطواف هذا الدعاء :

﴿ اللهم إني إليك فقير ، وإني خائف مستجير ، فلا تغيّر جسمي ولا تبدِّل اسمي ﴾ [1] .

« وعن أبي عبد الله « ع » إذا فرغت من طوافك وبلغت مؤخر الكعبة وهو بحذاء المستجار دون الركن اليماني بقليل فابسط يديك على البيت ، والصق بدنك وخدك بالبيت وقل :

﴿ اللهم البيت بيتك ، والعبد عبدك وهذا مكان العائذ بك من النار ﴾ .

ثم أقر لربك بما عملت فإنه ليس من عبد مؤمن يقر لربه بذنوبه في هذا المكان إلا غفر الله له إن شاء الله ، وتقول :

﴿ اللهم من قبلك الروْحُ والفرج والعافية ، اللهم إن عملي ضعيف فضاعفه لي وأغفر لي ما أطَّلعت عليه مني وخفي على خلقك ﴾ .

ثم تستجير بالله من النار وتخير لنفسك من الدعاء » [2] .

ما يرمز إليه الطواف : قال تعالى في كتابه الكريم على لسان إبراهيم حين دعاه يوم وقف إلى جوار الكعبة يدعوه . :

﴿ فاجعل افئدة من الناس تهوي إليهم ﴾ [3] .

---

(١) مناسك الحج للسيد ابو القاسم الخوئي صفحة ١٩٣ .

(٢) نفس المصدر صفحة ١٩٥ .

(٣) سورة إبراهيم - اية ٣٧ .

هذه الآية تشير إلى أن الإقبال يجب أن يكون بالقلب لأنه مصدر الخشوع والإيمان لا بالأجساد فحسب كما تشير إلى اقبال المحب على من يحب .

لذلك نرى المؤمن يشدُّ بكل جوارحه وأحاسيسه وإيمانه إلى تلك الكعبة فما السر الذي اودعه الله فيها وما السحر والجاذبية التي تجذب هذه القلوب إليها من جميع انحاء المعمورة ومن جميع أصناف البشر وجنسياتهم وألوانهم ؟

إنه ـ بلا أدنى شك ـ حب الله والإستجابة لدعوة الله وندائه والتضحية في سبيله .

ويبدأ الطواف من الحجر الأسود عاقداً نية الطواف ممتثلاً أمر الله بلا وسيط فتظهر الفروق واضحة وجليَّة بين طواف المسلم حول الكعبة وامتثاله امر الله وتوجهه إلى خالقه بقلبه وإيمانه وبين ما كان يفعله الوثنيون ويقومون به من مراسيم وطقوس وتقاليد ، كانوا يقولون عن اصنامهم :

﴿ **ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى** ﴾ [١] .

بينما يعبد المؤمن ربه ولا يعبد الكعبة تقرباً إلى الله فيقول في طوافه :

اطوف حول هذا البيت سبعة اشواط لعمرة التمتع ، حج التمتع ، حجة الإسلام امتثالاً لأمر الله تعالى :

---

(١) سورة آل عمران ، آية ٣٩ .

فنحن نقوم بما أمر الله به وفرق واضح وجليّ بين من ينفذ امر الله ومن يعبد الأصنام .

إذاً فقد كانوا يتجهون إلى الأصنام مباشرة ، لذلك فقد اشركوا بالله وكانت طقوسهم وثنية محضة بينمانجد المسلم ـ بأمر من الله ـ يتوجه إلى الله بقلبه وعقله وجميع حواسه .

والطواف هو قبل كل شيء طواف القلب ، طواف الروح وانطلاقها إلى الله تلتمس الرحمة والمغفرة على ما فرطت في جنب الله كما وتطلب الأجر والثواب .

والكعبة بيت الله على الأرض كبيته في السماء والمؤمنون المطيفون حول بيته الملبون لندائه كملائكته المطيفين حول عرشه في السماء يسبحون بحمده ويستغفرون .

والطواف سنّة كونية اثبتها الله سبحانه فها هو القمر يسبح في الفضاء ويدور حول الأرض ، فينتقل من المحاق وهو انعدام رؤيته إلى الهلال حتى يكتمل بدراً ثم يعود بالتضاؤل شيئاً فشيئاً حتى يرجع سيرته الأولى .

وهذه هي الأرض تطوف حول الشمس فتشكل الفصول الأربعة ، والشمس تطوف حول المجرَّة وتطوف المجرَّة حول مجرَّة أكبر منها وهكذا دواليك فالأصغر يطوف دائماً حول الأكبر ونحن نطوف الآن وفي كل آن رغماً عنَّا حيث أن الأرض سابحة في الفضاء وحيث أن كل ما في الفضاء سابح ..

لكننا نحن حين نطوف حول البيت إنما نطوف بمحض ارادتنا واختيارنا ، نطوف بقلوبنا ووعينا وإيماننا العميق بالله العظيم الذي ليس كمثله شيء فلا وثنية بالموضوع لأننا لا نقصد بطوافنا الحجارة وإنما نتجه إلى الله سبحانه وتعالى وإليه وحده .

وأما عدد الأشواط فلا يعلم السر فيها إلا الله ولكن ألا نلاحظ أن هنالك اشياء كثيرة تتسم بالثبات من حيث العدد [1] فدرجات السلم الموسيقي سبع تتجدد باستمرار ودرجات الطيف الضوئي (٧) واكتمال الجنين في الشهر (٧) وأيام الأسبوع (٧) فهل هذا من قبيل الصدف ؟ [1] .

أما تقبيل الحجر فليس من الوثنية في شيء . أفلا يقبِّل الإنسان أرض الوطن حين عودته بعد طول غياب ؟ وهل هذا عمل وثني ؟ أو لايقبل أحدنا رسالة اتته من قريب انقطعت أخباره فترة من الزمن ؟ أو رسالة اتته ممن يحب ؟ فهل هذا أيضاً من الوثنية ؟ وما الضير في تقبيل الحجر الأسود الذي حمله رسول هذه الأمَّةِ الكريم بيديه الشريفتين وقبَّله ؟ وأين وجه الوثنية هنا علماً بأن المقصود ليس الحجر وإنما ما يرمز إليه ثم لماذا تهفو أفئدتنا نحو الكعبة والحجر الأسود ونحو الصفا والمروة ونحو الجمـرات ولا تهفو نحو غيرها من الحجارة ؟ ولا مبرر لذلك سوى أمر الله وما تهدف إليه من المعاني السامية وما ترمز إليه من الرموز العظيمة .

---

(١) « حوار مع صديقي الملحد » ل مصفطى محمود ـ بتصرف .

وفي الطواف حيث تكون الجموع الغفيرة من المؤمنين تراهم بين مكبر ومهلل ومستغفر ومسبح يناجون الله ، يدعونه تائبين ملتجئين إليه ، تراهم بين رافع رأسه ويديه إلى السماء طالباً العفو والصفح عمَّا سلف منه في حياته من الخطايا والذنوب والآثام وبين باك تسيل دموعه على وجنتيه من خشية الله لا همَّ لهم ولا شيء يشغلهم سوى ذكر الله تعالى والدعاء وهل احب إلى الله من رؤية عبده يدعوه في بيته الحرام ؟ وهل ترد دعوة التائبين المخلصين المستغفرين في بيت الله الحرام ؟ وهو القائل عز وجل في كتابه الكريم :﴿ **وإذا سألك عبادي عني فإني قريب اجيب دعوة الداع إذا دعاني فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون** ﴾ [1] .

وقد استجاب المؤمنون لنداء الله وقطعوا المسافات الطوال وقاسوا المصاعب والمشقات وتحملوا المخاطر والأهوال ملبين النداء داعين الله ، راجين المغفرة والعفو ومن أرحم من الله وهو أرحم الراحمين .

فطوبى للذين يستجيبون لنداء الله تعالى وحسن مآب .

وفي الطواف أيضاً حيث تحتشد الألوف المؤلفة من الناس لا موضع للزحام والتدافع فيجب أن يطوف الجميع بيسر ولطف وأمـان وأن يساعد القوي الضعيف ويعينه على

---

(١) البقرة ، آية ١٨٦ .

أداء طوافه .

وعندما ينتهي الحاج من طوافه سبعة اشواط مختتماً بالحجر الأسود يتهيأ لصلاة الطواف خلف مقام إبراهيم .

ركعتا الطواف : وصلاة الطواف ركعتان كصلاة الصبح وهي الواجب الثالث من واجبات عمرة التمتع .

« قال الإمام الصادق (ع) : لا ينبغي أن تصلي ركعتي طواف الفريضة إلا عند مقام إبراهيم (ع) ، أما التطوع فحيث شئت من المسجد » [1] .

وقال أيضاً : « إذا فرغت من طوافك فأت مقام إبراهيم (ع) فصلِّ ركعتين واجعله امامك ، واقرأ في الأولى منهما سورة التوحيد ، قل هو الله احد ، وفي الثانية قل يا أيها الكافرون، ثم تشهَّد وأحمد الله تعالى ، واثن عليه، وصلِّ على النبي ، واسأله أن يتقبل منك [2] .

آداب صلاة الطواف : عن الصادق عليه السلام أنه سجد بعد ركعتي الطواف وقال في سجوده :

سجد وجهي لك تعبداً ورقاً لا إله إلاّ أنت حقاً حقاً الأول قبل كل شيء والآخر بعد كل شيء ، وها أنا ذا بين يديك ناصيتي بيدك ، واغفر لي إنه لا يغفر الذنب العظيم غيرك فاغفر

(١ - ٢) فقه الإمام جعفر الصادق ــ الشيخ محمد جواد مغنية ــ الجزء الثاني ــ صفحة ٢٠٣ .

لي فإني مقر بذنوبي على نفسي ولا يدفع الذنب العظيم غيرك » [1] .

ويستحب أن يشرب من ماء (زمزم) قبل أن يخرج إلى الصفا ويقول :

« اللهم اجعله علماً نافعاً ورزقاً واسعاً وشفاءً من كل داءٍ وسقم » [2] .

جواز المرور امام المصلي في الحرم المكي : يجوز أن يصلي المصلي في المسجد الحرام والناس يمرون امامه ، رجالاً ونساءً بدون كراهة ، وهذا من خصائص المسجد الحرام [3] .

وبعد الإنتهاء من صلاة الطواف يتهيأ الحاج للسعي بين الصفا والمروة وهو الواجب الرابع في عمرة التمتع .

السعي : قال تعالى في كتابه الكريم : ﴿ **إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطَّوَّف بهما ومن تطوَّع خيراً فإن الله شاكر عليم** ﴾ [4] .

والصفا والمروة هما ربوتان بمكَّة المكرمة قريبتان من الكعبة يسعى بينهما كل من حج البيت أو اعتمر .

وقد ارتبطت قصة هاجر عليها السلام بالسعي حين أراد

---

(١) مناسك الحج صفحة ١٩٧ .

(٢) نفس المصدر والصفحة .

(٣) فقه السنة للسيد سابق ـ صفحة ٧٠٤ ـ المجلد الأول .

(٤) البقرة ، آية ١٥٨ .

إبراهيم (ع) أن يسكنهم في مكّة ويعود من حيث أتى .

فحين عزم إبراهيم على الرحيل قالت له هاجر : اتتركنا هنا وحيدين حيث لا أنيس ولا ماء ولا زرع ؟ فأجابها إبراهيم (ع) أن هذا امر الله وهو يكفيكم ثم انصرف عنهم وهو يدعو الله سبحانه بقوله :

« ربنا إني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ، ربَّنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون »[1] .

ولما ارتفع النهار عطش إسماعيل فأخذت هاجر تبحث عن الماء مهرولة بين الصفا والمروة وفي الشوط السابع وهي على المروة نظرت إلى إسماعيل وقد ظهر الماء من تحت قدميه فأسرعت إليه وجمعت الرمل من حوله فزمَّت الماء بما جعلت حوله ولذلك سمي « زمزم » وكان قوم من جرهم نازلين بعرفات ، فلما عرفوا بأمر الماء في مكّة ارتحلوا إليها واستأذنوا أن يسكنوا بالقرب من هاجر وإسماعيل فأذنت لهم بعد أن استأذنت من إبراهيم (ع) فأنست بهم .

وهكذا فالسعي يعيد إلينا ذكريات عزيزة على قلوبنا . والصفا يرمز إلى الصفاء والفراغ والعدم بينما ترمز المروة إلى النبع والحياة والإستمرار ، فيهرول المؤمنون بين الصفا والمروة

---

(١) سورة إبراهيم ، آية ٣٧ .

مؤكدين سنّة الله في خلقه .

عدم فخلق من العدم وولادة فاستمرار وتكرار لهذه السنّة عبر ملايين السنين .

والسعي معناه العمل وكأنه يرمز إلى عمل الإنسان وسعيه في هذه الحياة منذ الولادة وحتى الممات ويستمر السعي فتموت اجيال وتحيا اجيال والسعي ابدي وأزلي ما دامت الحياة .

وبين الصفا والمروة يهرول الحجاج وكأنهم يسرعون للدخول إلى الحياة الدنيا عن طريق الولادة ثم يعودون من جديد مهرولين للخروج منها عن طريق الموت ، وبين الصفا والمروة اللذين يرمزان إلى الموت والحياة يدأب المؤمنون ويجهدون أنفسهم بالدعاء وطلب الرحمة والمغفرة معاهدين الخالق أن يتوبوا توبة نصوحاً ، وهذه ترمز إلى وجوب التقوى والعمل الصالح في الحياة الدنيا والإستعداد للقاء الله والوقوف بين يديه يوم القيامة للحساب .

ومن هنانجد أن لا وثنية على الإطلاق في السعي بين الصفا والمروة فلا القلوب متجهة إليها كونها صخوراً وحجارة ولا النفوس تشدُّ إليها لنفس السبب وإنما الإستجابة لأمر الله تعالى .

وهذه الرموز تبقى حية مع الإنسان حين يفقهها ويعيشها فتشد قلبه وتجذب نفسه إليها فيتعلق بها ويهواها وهل بعد ذلك نقول إنها وثنية ؟

واجبات السعي : للسعي واجبات اربعة :

١ ـ النيَّة ، فلو سعى الإنسان بلا نيَّة التقرب لله سبحانه وامتثال امره كان كالذي يمشي على الطريق تماماً .

٢ ـ الإبتداء بالصفا .

٣ ـ الإنتهاء بالمروة .

٤ ـ السعي سبعة اشواط على أن يحسب الذهاب شوطاً والإياب شوطاً ، كما يجب استقبال المروة حين الذهاب إليها واستقبال الصفا حين الرجوع إليه .

مستحبات السعي : يستحب الطهارة من الحدث والخبث واستلام الحجر والشرب من ماء زمرم والصب على الجسد منه والخروج إلى الصفا من الباب المقابل للحجر على سكينة ووقار والصعود على الصفا حتى يُرى البيت واستقبال الركن الذي فيه الحجر والدعاء بالمأثور والتكبير والتهليل والتسبيح مئة مئة .

آداب السعي : إذا صعد الحاج على الصفا نظر إلى الكعبة وتوجه إلى الركن الذي فيه الحجر الأسود ، وحمد الله وأثنى عليه وتذكر آلاء الله ونعمه يقول : « الله أكبر » سبع مرات ، « الحمد لله » سبع مرات ، (لا إله إلا الله » سبع مرات ، ويقول ثلاث مرات :

« لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت وهو حي لا يموت ، بيده الخير وهو على كل

شيء قدير » .

الله أكبر على ما هدانا ، والحمد لله على ما أولانا ، والحمد لله الحيِّ القيوم والحمد لله الدائم .

ثم يقول ثلاث مرات :

اشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، لا نعبد إلا اياه مخلصين له الدين ولوكره المشركون .

ثم يقول ثلاث مرات :

اللهم إني اسألك العفو والعافية واليقين في الدنيا والآخرة ثم يقول (الله اكبر) مئة مرة (لا إله إلا الله) مئة مرة (الحمد لله) مئة مرة (سبحان الله) مئة مرة .

ثم يقول أيضاً :

لا إله إلا الله وحده وحده ، انجز وعده ونصر عبده وغلب الأحزاب وحده فله الملك وله الحمد وحده وحده . اللهم بارك لي في الموت وفيما بعد الموت . اللهمَّ إني اعوذ بك من ظلمة القبر ووحشته اللهمَّ اظلَّني في ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلُّك .

ويستودع الله دينه ونفسه وأهله كثيراً فيقول :

« استودع الله الرحمن الرحيم الذي لا تضيع ودائعه ديني ونفسي وأهلي اللهم استعملني على كتابك وسنَّة نبيك وتوفَّني على ملته وأعذني من الفتنة » .

وعن امير المؤمنين (ع) أنه : إذا صعد « الصفا » استقبل

الكعبة ، ثم يرفع يديه ثم يقول :

« اللهم اغفر لي كل ذنب اذنبته قط ، فإن عدت فعد عليَّ بالمغفرة ، فإنك أنت الغفور الرحيم ، اللهم أفعل بي ما أنت أهله فإنك إن تفعل بي ما أنت أهله ترحمني ، وإن تعذبني فأنت غني عن عذابي ، وأنا محتاج إلى رحمتك فيا من أنا محتاج إلى رحمته ارحمني ، اللهم لا تفعل بي ما أنا اهله فإنك إن تفعل بي ما أنا أهله تعذبني ولا تظلمني ، أصبحت أتّقي عدلك ولا أخاف جورك فيا من هو عدل لا يجوز ارحمني »[1].

التقصير : وهو الواجب الخامس والأخير في عمرة التمتع وكيفيته أن يأخذ شيئاً من شعره أو ظفره بعد أن ينوي نيَّة التقصير .

وبالتقصير يتحلل الحاج من احرامه وينفلت من قيده فيخرج من أسره ويشعر بالحرية ويرضى الله سبحانه وتعالى عنه حيث أنه أتم ما امره الله به ويحمد الله على ما آتاه من فضل ونعمة ورحمة .

---

(١) آداب السعي من كتاب مناسك الحج صفحة ١٩٨ إلى ٢٠٠ .

ملخص عمرة التمتع القسم الأول من الحج :

١ ـ الإحرام .

٢ ـ الطواف حول البيت .

٣. ـ صلاة الطواف خلف مقام إبراهيم (ع)

٤ ـ السعي بين الصفا والمروة .

٥ ـ التقصير .

القسم الرابع

القسم الرابع

واجبات حج التمتع القسم الثاني من الحج :

١ ـ الإحرام من مكة .

٢ ـ الوقوف في عرفات من الظهر إلى المغرب يوم التاسع من ذي الحجة .

٣ ـ الوقوف في المزدلفة يوم العيد الأضحى من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس .

٤ ـ رمي جمرة العقبة في منى يوم العيد .

٥ ـ النحر في منى يوم العيد .

٦ ـ الحلق أو التقصير في منى .

٧ ـ طواف الزيارة بعد الرجوع إلى مكة .

٨ ـ صلاة الطواف .

٩ ـ السعي بين الصفا والمروة .

١٠ ـ طواف النساء .

١١ ـ صلاة طواف النساء .

١٢ ـ المبيت في منى ليلة الحادي عشر والثاني عشر .

١٣ ـ رمي الجمرات الثلاث في اليوم الحادي عشر والثاني عشر .

إحرام الحج وآدابه : ويبدأ القسم الثاني من الحج بالإحرام من مكَّة المكرمة في اليوم التاسع من ذي الحجة ويخلع الحجاج ثيابهم من جديد ويرتدون ثوبي الإحرام فيتكرر المشهد وتتجدد وتبرز المساواة في اوضح صورها ويعود الإنسان إلى قيده وأسره من جديد . ثم يخرج من مكَّة وهو يلبي فإذا توجه إلى منى قال :

« اللهم إياك أرجو ، وإياك أدعو ، فبلِّغني املي وأصلح لي عملي » .ثم يذهب إلى منى بسكينة ووقار مشتغلاً بذكر الله سبحانه فإذا وصل اليها قال : « الحمد لله الذي اقدمنيها صالحاً في عافية وبلَّغني هذا المكان » ، ثم يقول : « اللهم هذه منى وهي مما مننت به علينا من المناسك ، فأسألك أن تمن عليَّ بما مننت به على انبيائك ، فإنما أنا عبدك في قبضتك » [1] .

الوقوف في عرفة والمزدلفة : ثم ينطلق الحجاج إلى عرفات ليقفوا هناك من الظهر حتى الغروب بين يدي الله تعالى خاشعين متضرعين إلى الله ويا له من مشهد عظيم وكأنه البعث والنشور ، ملايين من البشر قامت لله الواحد القهّار متجردين من ثيابهم إلا من ثوبي الإحرام شبيه الكفن فكأنهم بعثوا من مراقدهم بأكفانهم استعداداً للحشر والحساب ثم ينطلق الموكب بعد الغروب إلى المزدلفة حيث يحشر الناس هناك

---

(١) مناسك الحج صفحة ٢٠٢ .

وكأنهم وقفوا استعداداً ليروا أعمالهم وصحائفهم فيكون الوقوف من الفجر إلى طلوع الشمس يجلله الخشوع والتوسل إلى الله سبحانه وتعالى وطلب المغفرة والرضوان .

وهذه المشاهد في عرفات والمزدلفة هي صور فوتوغرافية مصغرة عن يوم البعث والنشور والحساب وفيها عبرة لمن اعتبر وموعظة لمن اتعظ ، فيا أيها الإنسان ستقف بين يدي الله هكذا كما تقف الآن فانظر ماذا تقدم لنفسك من الصالحات تتقرب بها إلى الله وتهون به عليك من شدة الموقف . وليستعد كل امرىء لهذا الحشر العظيم يوم القيامة وليتضرع إلى الله في هذه الدنيا بالعمل الصالح والسيرة الحسنة وفي ذلك رضا الله والفوز بالجنة .

آداب الوقوف في عرفة والمزدلفة : تستحب الطهارة حال الوقوف في عرفات ، والغسل عند الزوال ، وتفريغ النفس للدعاء والتوجه إلى الله ، والوقوف بسفح الجبل في ميسرته، والجمع بين صلاتي الظهرين بأذان وإقامتين ثم الدعاء بما تيسر من المأثور : من ذلك .

« اللهم رب المشاعر كلِّها فكَّ رقبتي من النار وأوسع عليَّ من رزقك الحلال وادرأ عني شر فسقة الجنِّ والإنس » .

« اللهم إني عبدك وملك يدك ، ناصيتي بيدك وأجلي بعلمك أسألك أن توفقني لما يرضيك عني وأن تسلم مني مناسكي التي أريتها خليلك إبراهيم ودللت عليها نبيك محمداً (ص) » .

« اللهم إني اعوذ بك من الفقر ومن تشتت الأمر ومن شر ما يحدث بالليل والنهار، امسى ظلمي مستجيراً بعفوك وأمسى خوفي مستجيراً بأمانك وأمسى ذلي مستجيراً بعزك وامسى وجهي الفاني البالي مستجيراً بوجهك الباقي يا خير من سئل ويا أجود من أعطى جَلِّلني برحمتك والبسني عافيتك واصرف عني شر جميع خلقك [1] .

وبعد الغروب يفيض الحجاج من عرفات على سكينة ووقار مستغفرين مقتصدين في سيرهم ، جامعين بين صلاتي العشاءين في المزدلفة بأذان وإقامتين ويحيون تلك الليلة بالعبادة ثم يدعون بالمأثور من ذلك :

« اللهم ربَّ المشعر الحرام فك رقبتي من النار وأوسع عليَّ من رزقك الحلال وادرأ عني شر فسقة الجن والإنس . اللهم أنت خير مطلوب إليه وخير مدعو وخير مسؤول ولكل وافد جائزة فاجعل جائزتي في موطني هذا أن تقيلني عثرتي وتقبل معذرتي وأن تجاوز عن خطيئتي ثم اجعل التقوى من الدنيا زادي .

ومن المزدلفة يلتقط الحجاج الجمرات .

رمي جمرة العقبة : وبعد طلوع الشمس يفيض الحاج إلى منى ومن هناك يتوجه إلى رمي جمرة العقبة بسبع حصيات،

---

(١) مناسك الحج ص٢٤٨ ـ ٢٥٠ .

ورمي الجمرات يبدو للوهلة الأولى ولمن جهل المعنى والمغزى منها ـ يبدو له ـ أنه عمل وثني محض ، فالإنسان يتوجه إلى عامود من الحجر يرميه بالحجارة أليس هذا وثنية ؟ ولكننا قلنا إن الحجارة ليست مقصودة بالذات ولا نتوجه إليها بالعبادة ولا نشدُّ إليها وإلا كان ذلك وثنية ؟ .

فالمراد من رمي الجمرات هو أكبر وأعظم وأسمى ممَّا يظن الجاهلون وهي تشحن مخيلة الإنسان بالصور والرموز والمعاني العظيمة فعامود الحجر يرمز إلى الشيطان وعمله والشيطان رمز الفساد والخسة والضِعةوالأذية والجمرات ترمز إلى الفكر والضمير الحي والإنسانية الفذة التي ترجم الشر وتبعد النفس عن الوقوع في محرم والإنسان الذي ينفذ عملية الرجم يعاهد الله امام هذه الجموع الغفيرة من البشر على أن لا يعود إلى أعمال الشر والفساد وأن يكون عضواً خيِّراً في مجتمعه .

إذاً فعملية الرجم هي صورحية وذكريات وتأملات وعهد ووفاء بالعهد ، كل ذلك في تصوير حيٍّ وعمل تطبيقي تنطبع صوره في مخيلة الإنسان مهما طال به العهد ، وتذكرنا هذه العملية بموقف إبراهيم (ع) من إبنه إسماعيل (ع) وموقف إسماعيل من أبيه حين أخبره بأنه سيذبحه تنفيذاً لأوامر الله ، وموقف هاجر الأم التي حضنت ابنها حتى صار يافعاً ثم جاء أمر الله بذبحه وكيف صوَّر الشيطان لكل منهم ما أراد تصويره ابتغاء معصية الله فقد جاء إلى إبراهيم يثير فيه عاطفة الأبوة

ويغريه أن يبقي عليه فكان أن رجمه ولكن كيف ؟ بمعصيته له وتغلبه عليه واتباع ما أمره الله فهمَّ بذبح إسماعيل (ع) ولما يئس إبليس من إبراهيم ذهب إلى إسماعيل يحرِّضه علَّه يجد فيه بغيته قائلاً له : هل ترضى أن يذبحك ابوك ؟ إنه سيذبحك ، ثر عليه ، ولكن ماذا فعل إسماعيل ؟ نبذ تلك الوساوس ورجمه وتغلب عليه وقال لأبيه : « يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين » [1] .

وأما هاجر فقد حاول ابليس استدرار عطفها على ابنها وتحريضها على زوجها خليل الله إبراهيم فوقفت منه نفس الموقف .

بهذا يتبين لنا كيف يجب أن ينفذ الإنسان امر الله ولو كان تضحية بالأبناء والأموال والأنفس .

وهذه القصة هي مثل عظيم يعلمنا الفداء والتضحية بكل شيء في سبيل الله وفي سبيل الحق ونصرته اينما كنا ومتى جار الزمان وظلم الحاكمون . وبعد هذا فهل في ذلك شيءٌ من الوثنية ؟

آداب رمي الجمرات : يستحب في رمي الجمرات امور منها :

١ ـ أن يكون على طهارة حال الرمي .

---

(١) الصافات ، آية ١٠٢ .

٢ ـ أن يقول إذا أخذ الحصيات بيده : « اللهم هـذه حصياتي فأحصهن لي وارفعهنَّ في عملي » .

٣ ـ أن يقول عند كل رمية : « الله أكبر ، اللهم ادحر الشيطان عني اللهم تصديقاً بكتابك وعلى سنَّة نبيك اللهم اجعله لي حجاً مبروراً وعملاً مقبولاً وسعياً مشكوراً وذنباً مغفوراً .

٤ ـ أن يقف الرامي على بعد من جمرة العقبة بعشر خطوات أو خمس عشرة خطوة .

٥ ـ أن يرمي جمرة العقبة متوجهاً إليها مستدبر القبلة .

٦ ـ أن يضع الحصاة على ابهامه ويدفعها بظفر السبَّابة .

٧ ـ أن يقول إذا رجع إلى منى : « اللهم بك وثقت وعليك توكلت فنعم الرب ونعم المولى ونعم المصير » (١) .

النحر : ثم ينتقل الحاج بعد ذلك إلى النحر يوم العيد نهاراً فيضحي وينحر ما أمره الله به ، ولكن لماذا التضحية ؟ ماذا يريد الله سبحانه بإراقة هذه الدماء ؟ أم هل للناس ثأر عند الغنم والماعز والبقر والإبل ؟.

هذا ما يثيره بعض المشككين من الجهلة الغافلين الذين يكيدون للإسلام كيداً عظيماً .

---

(١) مناسك الحج ٢٥٣ ـ ٢٥٤

قصة الذبح : قال تعالى : ﴿ **وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين رب هب لي من الصالحين ؛ فبشرناه بغلام حليم ، فلما بلغ معه السعي قال يا بنيَّ إني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى ، قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين ، فلما اسلما وتلَّه للجبين وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين ، إن هذا لهو البلاء المبين ، وفديناه بذبح عظيم** ﴾ [1] .

وهكذا فقد جاء أمر الله إلى إبراهيم بذبح إسماعيل فقام لتوِّه لتنفيذ الأمر ولماذا لا يذبح إبراهيم ابنه وقد أمره الله ؟ وهو يعلم علم اليقين أن الله هو الذي أعطاه إسماعيل ومنحه إياه وكيف يضرب إبراهيم اروع الأمثال وأعظمها في طاعة الله ان لم ينفذ ما أمره ؟ وكيف يمكن أن يعلم الأجيال على مر العصور دروساً ملأى بالتضحيات والفداء إذا أثنته عاطفة الأبوة عن تنفيذ امر الله ؟

وقد ورد في بعض الأحاديث أن إبراهيم لما هم بذبح ابنه مر عليه شيخ فقال :

الشيخ : ما تريد من الغلام .

ابراهيم : أريد أن اذبحه .

الشيخ : سبحان الله ، تذبح غلاماً ما عصى الله طرفة عين؟

---

(١) سورة الصافات الآيات من ٩٩ ـ ١٠٧ .

ابراهيم: إن الله امرني بذلك .

الشيخ : ربك ينهاك عن ذلك وإنما امرك بهذا الشيطان .

ابراهيم: ويلك إن الذي بلّغني هذا المبلغ هو الذي امرني به .

الشيخ : يا ابراهيم إنك إمـام يقتدى بك وإنك إن ذبحته ذبح الناس اولادهم .

فلم يكلمه إبراهيم وأقبل على إسماعيل يريد ذبحه فقال لـه إسماعيـل : يا أبتـاه خمّـر وجهي وشدّ وثـاقي ، فقال إبراهيم (ع) : يا بنيَّ الوثاق مع الذبح ، لا والله لا أجمعها عليك . فأضجعه وأخذ المدية ووضعها على حلقه (حلق إبراهيم) ورفع رأسه إلى السماء ثم جر عليه المدية فقلب جبرئيل المدية على قفاها ، واجتر الكبش وأثار الغلام من تحته ووضع الكبش مكان الغلام ونودي من ميسرة جبل الخيف : ﴿ **أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا** ﴾ [1] .

من هذه القصة نعرف أن التضحية جاءت لتنقذ إسماعيل من الذبح ، وأمر الله إبراهيم بذبح ولده هي اختبار شديد وامتحان صعب لخليل الله لكنه اجتاز الإمتحان بتفوق وقرَّ ذبح ابنه لولا أن فداه الله بذبح عظيم وكان اباً للفداء والتضحيات فهل كثير علينا أن نذبح كبشاً امرنا الله بذبحه ونحن في طاعته

---

(١) قصص الأنبياء السيد نعمة الله الجزائري ـ صفحة ١٣٠ .

وبين يديه ؟ وكيف إذاً لوأمرنا بذبح ابنائنا ؟ فهل كنا سنستجيب لنداء الله علماً بأنه هو الذي اعطانا الأولاد .

وهذه اللحوم أين تذهب ؟ ومن المستفيد منها ؟

قال تعالى : ﴿ **لن ينال الله لحومُها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبرِّوا الله على ما هداكم وبشرِّ المحسنين** ﴾ [1] .

فالله سبحانه وتعالى لن يناله من دمائها شيء ولا من لحومها ولكن يناله أننا اتقينا الله واتبعنا أوامره وفزنا بعطائه وجنَّته وهذا ما يريده الله منا ، أن يدلنا على الجنة .

وأما نحن فحين نذبح الأضحية فكأننا نتمثل للهوى والطمع حنجرة فننحرها متخلصين ونابذين اهواءنا وأطماعنا وليكون كل عضو من اعضاء الهدي فداءً عن كل عضو من اعضائنا يوم القيامة كما افتدى الله سبحانه وتعالى إسماعيل بذبح عظيم .

وأما هذه اللحوم فتذهب إلى الفقراء والمساكين والمعوزين كما ينال اصحابها منها الشيء اليسير .

قال تعالى :﴿ **ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير** ﴾[2]

---

(١) الحج ، آية ٣٧ .

(٢) الحج ، آية ٢٨ .

فالآية تحدد منافع الحج ، منها منافع مادية ومنها ذكر اسم الله تعالى ثم ضمان التكافل الإجتماعي العام ولفت أنظار المسلمين إلى ضرورة التكافل وتعميمه في جميع انحاء المعمورة حتى لا يكون في الأرض فقير ولا محتاج على الإطلاق .

وبعد النحر يستعد الحاج للحلق أو التقصير .

آداب الذبح أو الهدي : يستحب في الهدي امور منها :

١ ـ أن يكون بدنة ومع العجز فبقرة ومع العجز عنها أيضاً فكبشاً .

٢ ـ أن يكون سميناً .

٣ ـ أن يقول عند الذبح أو النحر :

﴿ وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين . اللهم منك ولك بسم الله والله أكبر اللهم تقبل مني ﴾ .

٤ ـ « أن يباشر الذبح بنفسه فإن لم يتمكن فليضع السكين بيده ، ويقبض الذابح على يده ، ولا بأس بأن يضع يده على يد الذابح » [1] .

الحلق وما يرمز إليه : بعد أن يضحي الحاج ما استطاع

---

(١) مناسك الحج ، صفحة ٢٥٤ ـ ٢٥٥

من الهدي يستعد للحلق ، وفي ذلك يكمن معنى عميق فكأن الشعر عبارة عن الذنوب والآثام والخطايا ، والحلق إزالة للذنوب ومحو للآثام والخطايا فكانه خلق من جديد ليبدأ حياته من جديد دون ذنوب وأخطاء .

وبعد الحلق يتحلل الحاج من إحرامه ويحل له كل ما حرم عليه حين احرامه إلا الطيب والنساء والصيد .

يقول آية الله السيد ابو القاسم الخوئي :

« الحلق أو أخذ شيء من الشعر أو الظفر في منى وبذلك يحل له ما حرم عليه من جهة الإحرام ما عدا النساء والطيب والصيد على الأحوط » (١) .

آداب الحلق : ١ ـ يستحب في الحلق أن يبتدىء فيه من الطرف الأيمن وأن يقول حين الحلق : « اللهم اعطني بكل شعرة نوراً يوم القيامة » .

٢ ـ أن يدفن شعره في خيمته في منى .

٣ ـ أن يأخذ من لحيته وشاربه ويقلم اظافيره بعد الحلق (٢) .

وبعد الحلق والطهارة من الذنوب يعود الحاج إلى مكة المكرمة ليدخل الحرم الشريف ويطوف حول الكعبة ثم يصلي ركعتي الطواف ويسعى بين الصفا والمروة ثم يطوف طواف

---

(١) مناسك الحج ، صفحة ٥٧ .

(٢) نفس المصدر ، صفحة ٢٥٥ .

النساء ويصلي ركعتي طـواف النساء وبذلك تحل النساء .

آداب طواف الحج والسعي : يستحب الإتيان بالطواف يوم العيد فاذا قام على باب المسجد يقول :

« اللهم اعني على نسكك وسلمني له وسلّمه لي ، أسألك مسألة العليل الذليل المعترف بذنبه أن تغفر لي ذنوبي وأن ترجعني بحاجتي ، اللهم إني عبدك والبلد بلدك والبيت بيتك جئت أطلب رحمتك واؤم طاعتك متبعاً لأمرك راضياً بقدرك اسألك مسألة المضطر إليك المطيع لأمرك المشفق من عذابك الخائف لعقوبتك أن تبلّغني عفوك وتجيرني من النار برحمتك » [1] .

ثم يأتي الحجر الأسود فيستلمه ويقبله فإن لم يستطع استلمه بيده وقبلها وإن لم يستطع من ذلك أيضاًاستقبل الحجـر وكبرّ .... » [2]

وبعد ذلك يعود الحاج إلى منى ليبيت ليلة الحادي عشر والثاني عشر وليرمي في هٰذين اليومين الجمرات الثلاث كل واحدة منها بسبع حصيات كل يوم ثم يخرج الحاج من منى قبل الغروب وبذلك يتم حجه .

آداب منى : يستحب أن يقول في منى :

﴿ **الله أكبر الله أكبر ، لا إلٓه إلا الله والله أكبر ، الله أكبر**

---

(١) مناسك الحج ، ٢٥٦ .

(٢) نفس المصدر والصفحة .

ولله الحمد ، الله أكبر على ما هدانا ، الله أكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام ، والحمد لله على ما اولانا ﴾ .

ويستحب أن يصلي فرائضه ونوافله في مسجد الخيف .

روى أبو حمزة الثمالي عن أبي جعفر (ع) أنه قال : « من صلىَّ في مسجد الخيف بمنى مئة ركعة قبل أن يخرج منه عدلت عبادة سبعين عاماً ، ومن سبحَّ الله فيه مئة تسبيحة كتب له عتق رقبة ومن هلَّل فية مئة تهليلة عدلت اجر إحياء نسمة ، ومن حمد الله فيه مئة تحميدة عدلت أجر خراج العراقين يتصدق به في سبيل الله عز وجل »[1] .

طواف الوداع : يستحب لمن أراد الخروج من مكة المكرمة أن يطوف طواف الوداع وأن يستلم الحجر الأسود والركن اليماني في كل شوط .

زيارة الرسول الأعظم : يستحب للحاج العودة عن طريق المدينة المنورة لزيارة الرسول الأعظم ، والصديقة الطاهرة (ع) وائمة البقيع (ع) .

كيفية زيارة الرسول (ص) :

السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، السلام عليك يا حبيب الله ، السلام عليك يا صفوة الله ، السلام عليك

---

(١) مناسك الحج ، ٢٥٧ ـ ٢٥٨ .

يا أمين الله اشهد أنك قد نصحت لأمتك وجاهدت في سبيل الله وعبدته حتى أتاك اليقين فجزاك الله أفضل ما جزى نبياً عن أمّته ، اللهم صلِّ على محمد وآل محمد أفضل ما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد » [1] .

زيارة الصديقة الزهراء (ع) : « يا ممتحنة امتحنك الله الذي خلقك قبل أن يخلقك فوجدك لما امتحنك صابرة وزعمنا أنا لك اولياء ومصدقون وصابرون لكل ما أتانا به ابوك وأتانا به وصيُّه فإنا نسألك إن كنّا صدقناك إلاّ الحقتنا بتصديقنا لهما لنبشر أنفسنا بأنا قد طهرنا بولايتك » [2] .

الزيارة الجامعة لأئمة البقيع (ع) :

« السلام على اولياء الله وأصفيائه ، السلام على أمناء الله وأحبائه السلام على أنصار الله وخلفائه ، السلام على محالِّ معرفة الله ، السلام على مساكن ذكر الله ، السلام على مظهري أمر الله ونهيه ، السلام على الدعاة إلى الله ، السلام على المستقرين في مرضاة الله ، السلام على المخلصين في طاعة الله ، السلام على الأدلاء على الله ، السلام على الذين من والاهم فقد والى الله ومن عاداهم فقد عادى الله ومن عرفهم فقد عرف الله ومن جهلهم فقد جهل الله ومن اعتصم بهم فقد اعتصم بالله ومن

(١) نفس المصدر ٢٦٢ .

(٢) مناسك الحج ، صفحة ٢٦٣ .

تخلى منهم فقد تخلى من الله ، أشهد الله أني سِلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم مؤمن بسرِّكم وعلانيتكم ، مفوِّض في ذلك كله أمري إليكم ، لعن الله عدو آل محمد من الجن والإنس من الأولين والآخرين وأبرأ إلى الله منهم وصلَّى الله على محمد وآله الطاهرين »[1] .

الإنتهاء من الحج : وبعد الإنتهاء من الحج والزيارة يعود الحجاج إلى ديارهم فرحين بما قاموا به من مناسك ، تاركين في مخيَّلاتهم ذكريات حلوة وانطباعات ملأى بالإيمان، مستمدين القوة والعزيمة والنشاط بما رأوه من مظاهر تبشر بغلبة الإسلام والمسلمين ، مهما طال الزمان ، لأن ما يشاهد في الحج يمثل وحدة هائلة جبارة تلفت أنظار المسلمين إلى التعاون والإتحاد وجمع القوى المؤمنة ضد قوى البغي والضلال .

ومتى أشرق صبح الحق تجمعت هذه القوى على طريق الإيمان فأودت بأهل الفجور إلى المهالك وعمَّ الضياء وانتشر الإسلام في ربوع الدنيا واضمحل الظلم والفساد وأقيمت دولة الحق التي لا تعرف الضلال .

كيف يكون الإنسان بعد الحج : وأمنية الحاج أن يتقبل الله تعالى منه ومن تقبل الله منه حجَّه فقد دخل الجنَّة ، ولكن كيف يعرف أن الله قد تقبل منه ؟ إنه العمل الطيب والذكر

---

(١) مناسك الحج ، صفحة ٢٦٤ .

الحسن .

قال تعالى : ﴿ **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون** ﴾ [1] .

وقال أيضاً : ﴿ **ألا بذكر الله تطمئن القلوب** ﴾ [2] .

وقال أيضاً : ﴿ **والعصر . إن الإنسان لفي خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** ﴾ [3] .

فمن عمل خيراً كانت الجنَّة نصيبه ومن أساء فإن الجحيم هي المأوى ، وأسأل الله أن نكون عمَّال خير، مهتدين بهدي الله مستنيرين بنوره الذي أنزله على نبيه والحمد لله رب العالمين .

انتهى في : ٣ / ١٠ / ١٩٧٩

---

(١) سورة التوبة آية (١٠٥) .

(٢) سورة الرعد آية (٢٨) .

(٣) سورة العصر

المصادر

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ التفسير الكاشف للشيخ محمد جواد مغنية .

٣ ـ فقه الإمام جعفر الصادق للشيخ محمد جواد مغنية

٤ ـ فقه السنة للسيد سابق .

٥ ـ مناسك الحج للسيد ابو القاسم الموسوي الخوئي .

٦ ـ قصص الأنبياء السيد نعمة الله الجزائري .

فهرس

فهرس بمواد الكتاب

بعونه تعالى

تم طبع هذا الكتاب في

المطبعة الإسلامية الحديثة

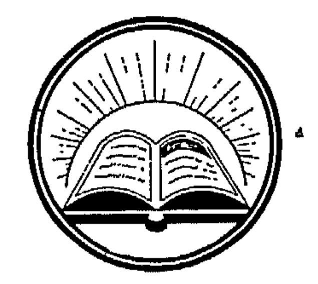
بيروت ـ لبنان /ت : ٣١٩٥٠٨

الدار الاسلامية



كورنيش المزرعة • بناية الحسن سنتر • الطابق الثاني • هاتف ٣١٦٠٥١ • ص.ب ١٩٥٦٨٠ • بيروت • لبنان

الدار الإسلامية



كورنيش المزرعة • بناية المحسن سنتر • الطابق الثاني • هاتف ٣١٦٠٥١ • ص. ب ١٩٥٦٨٠ • بيروت • لبنان